

زبدة الأصول

[203] وأما الآية الثانية وما بمضمونها نظير قوله تعالى " وإني يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " 1، وقوله سبحانه " ليس عليك هدام ولكن إني يهدي من يشاء " 2، وقوله " إنك لا تهدي من أحببت ولكن إني يهدي من يشاء " 3 إلى غير ذلك من الآيات، فهي تدل على أن الهداية الخاصة وكذا ما يقابلها مختصة بطائفة خاصة. توضيحه: إن الهداية هي الإرشاد والدلالة، والهدى ضد الضلال، والهداية من إني تعالى على قسمين عامة وخاصة، والاولى قد تكون تكوينية وقد تكون تشريعية. والهداية العامة التكوينية ما أعدها إني تعالى في طبيعة كل موجود، فهي تسرى بطبعها أو باختيارها نحو كمالها، الفارة تفر من الهرة ولا تفر من الشاة، والنمل يهتدى إلى تشكيل جمعية وحكومة، والطفل يهتدى إلى ثدى أمه. وهكذا، قال " ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " 4. والهداية التشريعية العامة هي إفاضة العقل على الإنسان العقل على الإنسان ثم إرسال الرسل وإنزال الكتب. وأما الهداية الخاصة فهي عناية ربانية خص إني بها بعض عباده حسب ما تقتضيه حكمته، فيهيئ له ما به يهتدى إلى كماله ويصل إلى المقصودة، ولو لا تسديده لوقع في الغي والضلالة، ومع ذلك لا يكون مجبوراً في ذلك. وفي أمثال هذه الآية أشير نكته لطيفة، وهي الرد على القائلين بأنه الخير واله الشر، أي المجوس الملتزمين بأن وسائل الشر إنما تكون متحققة بإيجاد اله الشر وإن إني تعالى لا يهتدى تلك الوسائل، وتدل على أن الأسباب كلها من إني تعالى. وأما الآية الثالثة وما بمضمونها فإنما تدل على أن جميع الأفعال واقعة تحت المحاسبة، سواء أكانت ظاهرة أم لا، غاية الأمر إني تعالى أن يغفر لمن يشاء. _____ 1 - سورة البقرة: 212. 2 - سورة الأنعام: 144. 3 - سورة العنكبوت: 69. 4 - سورة طه: 50. (*)